قراءة في كتاب

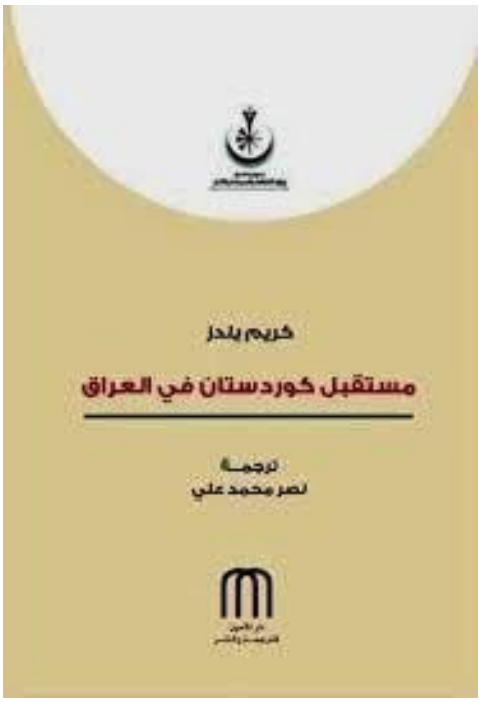

كتاب مستقبل كوردستان في العراق

تأليف : كريم يلدز

ترجمة : د. نصر محمد علي

صدر عن دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، 2021

قراءة وعرض : م. نور قيس عبود الخزعلي _ كلية العلوم السياسية / جامعة النهرين

يطرح موضوع كوردستان اشكالية كبرى ، سواء لدى الكورد او لدول المنطقة التي ينتشرون فيها ، فالكورد يحلمون بالدولة القومية التي تلبي مطالبهم ، رغم انه يوجد في كورسدستان تيارات فكرية وسياسية عدة ومنها من يؤمن بالانفصال عن الدول القائمة ، واخرى تؤمن بتحقيق خصوصية في اطار الدول التي ينتشر فيها الكورد . وخلال تاريخ التحركات الكوردية التي قامت بها التيارات الناشطة في كوردستان، توطدت الكثير من التغيرات الايجابية واخرى السلبية التي ترتبط بواقع كوردستان والكورد ، واخذت تظهر ليس في العراق فحسب انما في اجمالي كوردستان الكبرى ، الا ان ابرز التغيرات ظهرت بعد العام 2003 عندما شهدت العراق تغير في نظام الحكم ، واعلن رسميا تحول كوردستان العراق الى اقليم فدرالي .

يشير المؤلف الى واقع مليء بالتفاعلات التي ترتبط بتاريخ كوردستان ، فالكورد تعرضوا لأضرار السياسات الدولية ، عن قصد او دونه ، مما جعل الكورد منكشفين على تفاعلات السياسات العراقية تبعا لمدى انخراطهم بالأجندات الاجنبية ، وهو ما عرض كوردستان الى عنف وقمع مستمرين من قبل اغلب الانظمة السياسية العراقية قبل العام 2003 ، بل وتعرض كوردستان العراق لذات السياسات من قبل

الانظمة الحاكمة التي يتواجد فيها الكورد وهي تركيا وايران وسوريا ، اذ تعرضت العديد من القرى للتدمير او التهجير واحتجاز بعض ابنائها ووجود انتهاكات لحقوق الانسان ، بل وكان موضوع كوردستان احد اهم المداخل التي قادت دول المنطقة الى التعاون فيما بينها بما يحقق هدف قمع الكورد .

ان التغيرات التي وقعت في العراق بعد العام 2003 ان فتحت اوضاع والبيئة الاقليمية والدولية امام كورستان ، واصبح الكورد امام واقع جديد الا انهم اصيبوا ايضا بخيبة امل ، لان الكورد وجدوا ان الدعم الدولي لتحسين واقع الكورد يبقى دعما محدودا ، وانه لا يمكنهم الانتقال الى حلم الدولة .

يتناول الكتاب موضوعه عبر ستة موضوعات ، موزعة بين ثلاثة اجزاء ، وينطلق الكتاب من التاريخ وصولا الى المستقبل ، ويناقش في متنه الحقب الثلاث التي مرت وستمر به كورستان العراق : الماضي والحاضر والمستقبل .

لقد قُسم الكتاب الى ثلاثة اجزاء ، وهي :

الجزء الاول : الكورد في العراق من وجهة النظر التاريخية ، وقد قسم الى موضوعين : التاريخ ، ومرحلة ما قبل العام 2003 ، ففي المرحلة التاريخية يرى المؤلف ان الكورد هم السكان الاصليون لكوردستان ، وهم جماعة عرقية نتاج المحصلة النهائية لتطور عدد من القبائل وامثالها : جوتي وكورتي والميدي ومارد وغيرها ، وهجرة القبائل الهندواوروبية من منطقة جبل زاغروس منذ 4000 عام تقريبا ، ويوجد اليوم نحو 800 قبيلة في كوردستان . وكوردستان تعني ارض الكورد ، واول ما اطلقت تلك التسمية عندما تم انشاء ولاية بهذا الاسم في كوردستان ايران ، واخذ الاسم يشيع في القرن السادس عشر ، للإشارة الى الاقطاعيات الكوردية. ولا يوجد تحديد دقيق لأبعاد كوردستان الا انها تقع بين سلاسل جبال طوروس وزاغروس نزولا الى سهل بلاد ما بين النهرين ، وحتى اناضول ارمينيا ، وسكن هذه المنطقة الممتدة مجموعات من الاقليات ومنهم المسيحيون والتركمان والاشوريون والارمن ، واخذت كوردستان تظهر بالخرائط ليس بوصفها مصطلح جغرافي انما تشير الى ثقافة انسانية ، وعموما لا يوجد اتفاق على حدود واضحة لهذه المنطقة .

ولغويا ، ليس لكوردستان لغة واحدة مشتركة انما هنالك لهجات مختلفة ، وهم ايضا ليسوا متجانسين دينيا رغم ان الاغلبية هم من المسلمين ، وعدد الكورد مبني على التقديرات ، يعتقد انه يوجد نحو خمسة عشر مليون كوردي في تركيا ، ونحو 4.7 مليون في العراق ، وسبعة مليون في ايران ، واكثر من مليون في سوريا ، و 75 الف في ارمينيا ، و200 الف في اذربيجان ، وهم اكبر جماعة عرقية في العالم من دون دولة ، وهم رابع اكبر قومية في الشرق الاوسط .

يوضح الكاتب ان اشكالية كوردستان بدأت مع اتفاقية سيفر وانشاء العراق ، فتاريخيا ظلت مناطق الكورد تتمتع بدرجات متباينة من الحكم الذاتي عن الدول التي نشأت اقليميا ، وبعد تراجع وتفكك الدولة العثمانية اتيحت الفرصة لكوردستان لإقامة دولة ، في اطار خطاب ساد في العالم الغربي يهتم بوضع الاقليات ، الا ان البيئة العالمية أنذاك كان يتخللها ظروف عدة ومنها : التهديد الذي يطرحه الاتحاد السوفيتي ، ووضع الارمن الكاثوليك ، ورغبة بريطانيا بالحفاظ على الاستقرار داخل ممتلكاتها الاستعمارية ، وكانت بريطانيا تدرك انه لا توجد قيادات كوردية قادرة على التضحية بالمصالح القبلية لصالح هدف اقامة امة كوردية ، بل ولم تكن متأكدة من وجود هوية كوردية متماسكة تتجاوز الانتماءات القبلية ، ورغم تلك التحفظات نصت معاهدة سيفر 1920 على قيام دولة كوردية ، تبدء مع تنفيذ خطة حكم ذاتي لمناطق ذات اغلبية كوردية شرق نهر الفرات وجنوب ارمينيا وشمال سوريا وبلاد ما بين النهرين ، ويتوقف الاتجاه الى اقامة تلك الدولة على رغبة سكان تلك المنطقة خلال السنة الاولى من تطبيق الحكم الذاتي بالانفصال عن تركيا ، وهو ما يترتب عليه لاحقا صدور توصية من مجلس عصبة الامم بإقامة الدولة وتعهد تركيا بالتخلي عن كل حق في هذه المناطق ، الا ان معاهدة سيفر لم تنفذ ، فقد كانت اذلال لتركيا ، وهو ما قاد لاحقا الى توقيع اتفاقية لوزان التي اعترفت فقط بالحقوق للأقليات الدينية ، وقسمت مناطق كوردستان .

شهدت مناطق كوردستان العراق بعد العام 1924 العديد من الاحداث ، بداءا من اعلان الشيخ محمود نفسه ملكا على كوردستان ، ومرورا بثورة البارزاني ، وكانت اهم المراحل هي حدث مارس 1970 عندما اعترف العراق بان وضع الكورد يتطلب منحهم خصوصية بإدارة شؤونهم الخاصة ، وتم الاتفاق على صيغة الحكم الذاتي في العام 1974 ، واصاب كوردستان الكثير من الاحداث لاحقا واهمها اثر اتفاقية الجزائر بين العراق وايران لعام 1975 على كوردستان العراق ، ثم تأثير الحرب العراقية الايرانية في العام 1980 على تلك المنطقة ووصولا الى عام 1990 عندما وقعت احداث حرب الخليج الثانية ، اذ ضعفت قدرات الحكومة العراقية واتجهت كوردستان العراق الى التمرد ، الا ان الحكومة العراقية استعملت القوة بقصد اعادتها مما تسبب بنزوح كبير قدر بنح مليون نسمة الى تركيا ونحو مليون ونصف الى ايران ، وهو ما انتهى الى صدور قراغر مجلس الامن بالرقم 688 في نيسان 1991 يدين فيه قمع الحكومة العراقية لشعبها ، واستخدمته الولايات المتحدة لإطلاق عملية اغاثة للاجئين ضمن عملية عرفت باسم : عملية توفير الراحة ، ثم اطلقت عملية : الملاذ الآمن، والتي تطورت لاحقا لتشمل مناطق حظر الطيران، الا ان القوى الكوردية اتجهت الى التفاوض مع الحكومة العراقية بشان الحكم الذاتي ، الا ان العراق اتجه

الى سحب القوات العسكرية والامنية والموظفين المدنيين من محافظات اربل ودهوك والسليمانية في 20 تشرين الاول 1991، وهو ما انتهى الى تأسيس الادارة الكوردية لتلك المحافظات ، ومهد لوضع كوردستان بصيغة اقليم بعد العام 2003 .

لقد كان الكورد من بين اهم القوى التي دعت الى عراق فدرالي بعد العام 2003 ، واعلنوا انفسهم كإقليم في الدستور الدائم لسنة 2005 . واستفادت كوردستان من استقرار كبير بحكم الادارة المستقلة التي استطاعت ان تقيمها منذ العام 1991 ، في ظرف كان العراق يعاني في تلك المرحلة من عدم استقرار كبير سياسي وامني.

بينما جاء الجزء الثاني ليتناول وضع كوردستان ، وعلاقاتها مع الحكومة الاتحادية العراقية والعلاقات الاقليمية والدولية للإقليم ، فبعد اقرار الدستور الاتحادي لسنة 2005 تأسست علاقات دستورية بين الحكومة الاتحادية والاقليم ، وكانت اهم الجوانب التي طرحتها تلك العلاقات هي موضوع دستور الاقليم وقضية كركوك ودور النفط والمدى الذي يتمتع به الاقليم بسلطاته الفدرالية ، وهنا اصبحت العلاقة بين الطرفين فيها تداخل وتوتر ، فبعض المناصب السيادية في الدولة الاتحادية يديرها كورد ، الا ان التوترات على القضايا السابقة تطرح باستمرار ، يضاف اليها وجود خلافات مستمرة داخل المجتمع الكوردي نفسه رغم ان الديمقراطية في كوردستان العراق تطورت بشكل كبير منذ تسعينيات القرن الماضي.

ان واحدة من اهم التطورات التي طرأت على كوردستان بعد العام 2003 انها اسيت لمرحلة من تطور العلاقات الاقليمية ، فجيران العراق يتعاملون بإنكار لحقوق الكورد ، الا ان حكومة الاقليم اتجهت الى انفتاح كبير على تركيا ، فتركيا تهتم بعدم قبول وجود نزعة انفصالية كوردية ومنع ظهور دولة كوردية باعتباره مصلحة قومية للدولة ، ولهذا فهي لم تعترض على تطوير علاقاتها واتصالاتها مع كوردستان، ويناقش الكتاب موضوعات مختلفة في علاقات تركيا بكوردستان ومنها : المياه وحزب العمال الكوردستاني التركي والعلاقات الاقتصادية. بينما تعد ايران ثاني اكبر الدول التي تجاور كوردستان ، وهي الاخرى يوجد على اراضيها قسم من الكورد ، وتعاني من وجود حزب الحياة الحرة الكوردستاني (بيجاك) ، وهو يدعو الى اقامة مجتمع ديمقراطي اتحادي من شانه ان يعطي السيادة للأقليات المختلفة ومنها الاذرية والبلوشية والعربية ، ونمى حزب (بيجاك) بشكل كبير في اوساط كورد ايران ، مما دفع بإيران الى شن عدة هجمات عبر الحدود مع كوردستان ، وبالمحصلة فان الكاتب يرى ان التوغل المستمر للدولتين تركيا وايران في شمال العراق تسبب بمعاناة للسكان المدنيين المقيمين بالإقليم ، الى جانب انتهاكها

لسيادة العراق ، وعبرت تلك العمليات عن سعي الدولتين الى الابتعاد عن الحل الديمقراطي للقضية الكوردية .

اما على صعيد المجتمع الدولي ، فان ذلك المجتمع تعامل مع القضية الكوردية من عدة مداخل ومنها : انتقاد الهجمات من الدول المجاورة على الاقليم ، والتعامل مع رغبات وتوجهات الكورد لتامين وضع شبه مستقل ، فالمجتمع الدولي لم يظهر دعما سياسيا قويا لحق تقرير المصير لكوردستان ، بل ان الولايات المتحدة تنظر باهتمام الى عدم تعريض وحدة الاراضي العراقية للخطر .

بينما جاء الجزء الثالث ليتناول قضايا مستقبلية تخص كوردستان العراق ، وتم فيه مناقشة موضوعات مثل : اثار انسحاب الولايات المتحدة من العراق عام 2011 ، وكيف اثر ذلك الانسحاب على الامن والاستقرار ، وعلى علاقات كوردستان بتركيا ، وينتهي المؤلف الى ان ذلك الانسحاب سيكون له تاثير وتداعيات طفيفة على مناطق كوردستان ، والامر كله سيكون مقترب بطبيعة العلاقات بين حكومتي بغداد واربيل وكيفية تسوية نقاط الخلاف بينهما .

وفي الختام ، لقد كتب المؤلف كتابه بقصد اعادة تقييم وضع الكورد ، وتوثيق التغييرات التي طرأت على كوردستان بعد العام 2003 ، وانتهى الى ان اثر تلك التغييرات سيستغرق عدة سنوات قبل ان تظهر آثارها رغم المكاسب السياسية والاقتصادية التي حصلت عليها كوردستان .